

## إمكانية بناء الأمم.. العراق نموذجا

ديفيد بروكس

صحيفة نيويورك تايمز

31 أغسطس 2010

## Nation Building Works

By David Brooks

The New York Times Newspaper

ترجمة: علي الحارس (alharis.a@gmail.com)

- من كتاب (مقالات الأعمدة) في صحيفة (نيويورك تايمز) منذ عام 2003.
- عمل محررا في مجلة (ويكلي ستاندارد) منذ انطلاقتها.
- كان من كتاب (مقالات الأعمدة) في صحيفة (وول ستريت جورنال).
- عمل محررا مشاركا في مجلتي (نيوزويك) و(اتلانتيك مونثلي).
- عمل محللا في إذاعة (NPR).
- عمل أستاذا للسياسة العامة في جامعة دوك.
- إجازة في التاريخ. جامعة شيكاغو.



ديفيد بروكس

المغامرة الأمريكية في العراق كانت حريا، ولكنها كانت عملية بناء أمة بالإضافة إلى ذلك. لقد أنفقت الولايات المتحدة (53) مليار دولار في محاولة إعادة إعمار العراق، في جهد إنمائي هو الأكبر منذ خطة مارشال. والسؤال الذي يطرح نفسه: ما هي علامات نجاح هذه العملية؟

إننا نرى علامات تقدم على الصعيد الاقتصادي. وعلى الرغم من صعوبة معرفة الدور الذي لعبته المشاريع الأمريكية المتناثرة للتنمية، فإن العراق سيبلغ المرتبة (12) في قائمة الدول ذات النمو الاقتصادي الأسرع عالميا، ومن المتوقع أن تبلغ وتيرة هذا النمو (7%) سنويا خلال الأعوام المقبلة. كما ورد في تقارير صندوق النقد الدولي أن «العراق حقق تقدما جوهريا منذ العام 2003»، والتضخم مستقر على نحو مقبول، وتشير التوقعات إلى حصول فائض في الميزانية عام 2012، كما إن البطالة، وإن كانت لا تزال بنسبة (15%)، فقد نزلت عن المستويات الخيالية التي وصلت إليها. أضف إلى ذلك أن إنتاج النفط وصل إلى ما يقارب مستويات الإنتاج التي تحققت قبل الحرب، وهناك من يقول بأن العراق سوف ينافس السعودية في مستويات الإنتاج، وإن كان هذا القول ينطوي على شيء من البعد عن

## إمكانية بناء الأمم.. العراق نموذجا

الواقعية. فهذا لا يمنع من القول بأن العراق سائر في طريق اقتصاد نفطي سليم. شاء من شاء وأبى من أبى.

كما إن المستوى المعيشي في تحسن مستمر: فبحسب (مؤشر العراق) الذي يصدره مركز بروكينز، وهو مصدر موثوق للمعلومات المتعلقة بهذا الشأن. ارتفع عدد خطوط الهاتف الأرضية من (833,000) في فترة ما قبل الحرب إلى (1,300,000). أضيف إليها حوالي 20 مليون خط هاتفي محمول. كما إن عدد مستخدمي الانترنت ارتفع من (4,500) قبل الحرب إلى أكثر من (1,700,000) حاليا. وفي أحدث استطلاع للرأي أجراه مركز غالوب، تبين أن (69%) من العراقيين ينظرون بالإيجاب إلى أحوالهم المالية الشخصية، وهي نسبة أكبر من مثلتها المستخلصة في مارس 2007 (36%). ويرى سكان بغداد أن الأسواق عادت إلى حيويتها لتزود الناس بالجديد من الأجهزة الالكترونية والملبوسات وحتى المشروبات الروحية.

أما الخدمات الأساسية فلا تزال سيئة رغم ما طرأ عليها من تحسن: حيث زاد إنتاج الكهرباء عن معدلاته التي بلغها قبل الحرب بنسبة (40%). ولكن لا يزال هنالك فشل في التزويد بالكهرباء على نطاق واسع بسبب وجود العديد جدا من مكيفات الهواء وغيرها من الأجهزة الكهربائية. وفي فبراير 2009 ارتفعت نسبة العراقيين الذين يتمتعون بخدمات إزالة القمامة إلى (45%). وهي نسبة منخفضة رغم أنها تزيد على ما وصلت إليه في عام 2008 (18%). كما إن نسبة المخدمين بخدمات المطافئ ارتفعت من (23%) إلى (42%).

لقد ذهب أكثر من نصف الأموال الأمريكية المصروفة في العراق إلى بناء قوات الأمن العراقية، وهنا أيضا نجد علامات توجه إيجابي: حيث انخفضت وتيرة العنف بنسبة (90%) عما كانت عليه قبل عملية (الاندفاع)، وهناك اليوم أكثر من (400,000) شرطي و(200,000) جندي عراقي. وذلك بالإضافة إلى التحسن التدريجي في كفاءة الأداء العملياتي. حيث تشير استبيانات محطتي (ABC News/BBC) في عام 2009 إلى أن حوالي ثلاثة أرباع العراقيين

## إمكانية بناء الأمم.. العراق نموذجا

يحملون نظرة إيجابية تجاه الجيش والشرطة. كما إن أغلبية الآراء الراضية كانت في أوساط السنّة. وهو أمر يحدث للمرة الأولى.

على الصعيد السياسي. يمكن القول بأن البنية الأساسية متينة. كما تم إقرار عدد من القوانين المميزة. ولكن هذه المكاسب يهددها أولا خطر الجمود الحالي في تشكيل الحكومة. والعراق يتبوأ حاليا المرتبة الرابعة بين دول الشرق الأوسط في (مؤشر الحرية السياسية) الذي يصدره قسم المعلومات في مجلة الايكونوميست. حيث يأتي في التصنيف بعد إسرائيل ولبنان والمغرب. وقبل الأردن ومصر وقطر وتونس. وبينما يرغب قرابة ثلثي العراقيين بدولة ديمقراطية. لا يتعدى مؤيدو إقامة دولة إسلامية نسبة (19%).

باختصار: حدث تقدم كبير في المجالات التي كان من الممكن لجهود التنمية أن تصل إليها مباشرة. وهي: النمو الاقتصادي، والأمن الأساسي. والمؤسسات السياسية والقضائية. وبعد الكارثة التي مر بها العراق خلال أولى سنوات الحرب. انتقلت عملية بناء الأمة إلى حيز النجاح بعد أن كانت موضع تندر الكثيرين. وعندما يريد الرئيس اوباما أن يتحدث إلى الأمريكيين عن العراق. فسيكون بإمكانه الإشارة إلى مشروع وطني كبير تمخض عن نتائج إيجابية ملموسة.

وكي نكون صادقين. سيتوجب على اوباما أيضا أن يلمح إلى مدى هشاشة وعدم اكتمال هذا النجاح؛ فالأوضاع المادية للعراقيين أفضل مما كانت عليه. ولكن العقل العراقي لم يصل بعد إلى مستوى الفرصة العراقية: فلا يزال هنالك ضآلة في النتائج الاجتماعية. حيث يعد العراق رابعا في قائمة أكثر دول العالم فسادا. وذلك وفق نظام التصنيف في منظمة الشفافية العالمية. كما إن دور المرأة لا يزال محدودا إلى درجة مدهشة. ومن الواضح أن السياسيين العراقيين يجدون من الصعوبة الشديدة عليهم أن يلجؤوا للتسويات في ما بينهم (وهم ليسوا أسوأ من نظرائهم الأمريكيين في هذا المجال).

## إمكانية بناء الأمم.. العراق نموذجاً

وهناك نقص في الطاقة البشرية العراقية. حيث غادر معظم الأطباء بعد الحرب. ومن الصعب إيجاد أطباء المراكز الصحية. كذلك الأمر بالنسبة للمهندسين. حيث تنام المصانع التي بناها الأمريكيون بانتظار الكفاءات اللازمة لتشغيلها. كما تعاني المدارس أيضاً من قلة المدرسين.

مؤخراً، كتب السفير الأمريكي السابق في العراق رايان كروكر (Ryan Crocker) مقالة في مجلة ناشيونال انترست (The National Interest) يشير فيها إلى أن الخوف لا يزال سائداً في العراق؛ فالعداوات الإثنية غابت لكنها لم تنعدم. والأسلحة اختبأت ولكنها لم تدمر.

إذا أراد أوباما أن يتحرى الصدق فعليه أن يوازن بين الغرور والحذر؛ وهذا يعني الاعتراف بإمكانية ضياع المكاسب التي تعمل عليها الولايات المتحدة إذا انسحب الجيش الأمريكي بالكامل في العام المقبل. وأن التغيير الاجتماعي الذي يبدأ من القاعدة إلى القمة يتطلب الوقت والصبر. وأن يستمع بانتباه إلى نصائح جادة يبذلها خبراء بالشأن العراقي من أمثال: كروكر، ومايكل أوهانلون (Michael O'Hanlon) من مركز (بروكينغز)، وستيفين بيدل (Stephen Biddle) من مركز (CFR)، وأن يتخلى تماماً عن أية خطط للانسحاب.

إن هذه الخطوة من شأنها أن تحرم أوباما من بعض النقاط في سباق الانتخابات الرئاسية. ولكنها كفيلة بحماية إنجاز أمريكي تم تحقيقه بصعوبة شديدة.